علاقة البطالة ببعض الظواهر الاجتماعية :مقاربة سوسيولوجية

أ. حجال سعود
أستاذ محاضر بقسم العلوم الاجتماعية
جامعة تلمسان

تتداخل البطالة مع العديد من الظواهر الاجتماعية تتأثر بها وتؤثر فيها وعلى هذا الأساس نحاول من خلال هذا المقال أن نبرر تلك العلاقة الارتباطية التي تتمحور حول فكرة تفسير الاجتماعي بما هو اجتماعي على حد تعبير إميل دوركايم، ومن بين الظواهر الاجتماعية التي سنتطرق إليها نجد: العنف، تعاطي المخدرات، البغاء، الهجرة خارج الوطن، ظاهرة تأخر سن الزواج وظواهر اجتماعية أخرى.

1- علاقة البطالة بظاهرة العنف:

العنف ظاهرة اجتماعية موجودة في جميع المجتمعات كما يتواجد في مستويات السلم الاجتماعي بدرجات متفاوتة يتمثل في كل أشكال التصرفات التي تؤدي إلى إلحاق الضرر بالآخرين في اطار التفاعل بين الأفراد او الجماعات يتخذ عدة صور منها العنف الجسدي، اللفظي، الرمزي، ولكل نوع من هذه الأنواع دلالة اجتماعية أي وظائف و معان مختلفة وقد يكون مؤقت وظرفي لكنه متجدد في حياتنا اليومية باستمرار.

ترتبط البطالة بالعنف في كونها أحد الأسباب التي تؤدي إلى انكسار إنسانية الآخر الذي نرتبط به ونتفاعل معه في إطار الحياة الاجتماعية، وتبدأ هذه الصورة تتجسد في المؤسسة الأولى للتنشئة الاجتماعية أي الأسرة هذه الأخيرة تعتبر وسط ملغم بالعنف، حيث يبدأ الصراع بين الأب والابن عندما يكون هذا الأخير قد وصل إلى المرحلة التي ينبغي فيها أن يشتغل ليجد نفسه عاطلا عن العمل، فيبدأ العنف بأحداث بسيطة قد تكون تافهة لتتحول إلى مشاحنة دامية بين الطرفين خاصة إذا كانت الثقافة الشعبية ومنظومات القيم السائدة في المجتمع تبرر هذا النوع من الممارسات أو تحض على التساهل بشأنها على الأقل، في حين أن ثمة قوانين وتشريعات تحظر خاصة الإيذاء الجسدي،كما أنه بإمكان العنف أن ينتقل إلى الزوجين في حال وجود أحدهما في حالة بطالة خاصة الزوج لأسباب مختلفة من تسريح أو طرد ويتعلق الأمر بوجه أدق في المجتمعات التي تسيطر فيها الهيمنة الذكورية أين تقدم للرجل وظيفة إعالة أسرته وفق منطق الواجب، ففي حالة حدوث الخلل الوظيفي نتيجة التعطل فإن الأزمة ستتفاقم داخل العائلة وتتآكل المقاييس والمعايير الأخلاقية التي تربط الطرفين ويؤدي هذا إلى حالات انفكاك البنية الأسرية ولكن لا ينبغي حصر ظاهرة العنف في الوسط الأسري لأن هذا الأخير منفتح عن النسق المجتمعي ويتأثر به كما هو الشأن بالنسبة لحالة الجزائر, »إذا لابد على العائلة أن تنطوي هي بدورها على العنف إذ تكون جزء من أجزاء المجتمع وخصوصا أن هذا الجزء مازال حتميا في الجزائر أي يستحيل على أي شخص أن يعيش خارج عائلته بدون أن يعاني من تهميش اجتماعي متزايد »[1] ومن الأسرة إلى الشارع كفضاء للتنشئة الاجتماعية تتجسد أشكال متعددة للعنف فعلى سبيل المثال يلجأ بعض الشباب والمراهقين الذكور إلى إلحاق الأذى ضد النساء انتقاما منهن على أساس أن المرأة أصبحت تدخل بقوة في عدة مجالات وتنافس الرجل حتى في بعض الوظائف التي

كانت حكرا عليه في الماضي وذلك بشتى أنواع الشتم وفي بعض الأحيان الاعتداء الجنسي عليها ,يحدث هذا في ظل ظروف اجتماعية واقتصادية قاهرة من بطالة وحرمان عاطفي وهي المغذيات التي تدل على واقع اجتماعي مكهرب في المجتمع الجزائري. كما لا ننسى الحرب الأهلية التي كانت دائرة آنذاك بين النظام السياسي والجماعات الإسلاموية المسلحة في فترة التسعينات من القرن الماضي التي أدت إلى طلبات متزايدة للانخراط في كليهما فالنظام عن طريق خلقه لعدة أسلاك للمقاومة، بذلك استوعب شرائح عديدة من البطالين أما الفئات التي لم يكن لها الحظ للانخراط في الأسلاك النظامية، استوعبتها الحركات المسلحة واستخدمتهم كشبكات إمداد أو محاربين مباشرين.هكذا دار العنف المسلح التي كانت البطالة أحد أسبابه بالنسبة لفئة الشباب حينما كانت تطمح إلى الترقية الاجتماعية العمودية ردا على التهميش الاجتماعي التي عانت منه وعندما نتكلم عن الوزن المحدد لها في هذه الجماعات نجد: « شاب ما بين 16 و29 سنة، مستبعد من النظام المدرسي، أعزب/ متزوج بدون أولاد، أمي/ مستوى ابتدائي أو متوسط، عاطل/ عامل منحدر من الطبقة العمالية أو من البروليتاريا الدنيا مقيم في المناطق الطرفية من المدن »[2]،هكذا تدفع البطالة الشاب نحو الإقصاء والتهميش اللذين يعدان من أقصى أشكال العنف الممارس من فوق على الفئات الاجتماعية الدنيا مما يؤدي إلى كبح تطلعاتها ونموها الطبيعي ويتم رد الفعل بسلوك تعويضي مدمر كما هو الشأن بالنسبة للحركات الاحتجاجية المتتالية من حين إلى آخر في كامل أنحاء الوطن سواء في الماضي أو في الحاضر.

2- علاقة البطالة بظاهرة تعاطي المخدرات:

نشير إلى أنه من بين السلوكاتالانحرافية التي تفشت بصورة ملفتة للانتباه في مجتمعنا هي ظاهرة الإدمان على تعاطي المخدرات في أوساط المراهقين والشباب خاصة البطالين منهم، حيث تعد الظروف الاقتصادية السيئة والحياة الاجتماعية غير المستقرة والقاسية التي تتولد بفعل التعطل عن العمل، عوامل تساعد على تفشي هذا النوع من السلوكات وهي نتيجة حتمية لعدم إشباع الحاجة المتمثلة في العمل حيث يزداد التوتر ويصبح البحث عن الطرق البديلة غير المشروعة أمرا معتادا ومألوفا لدى عدد معتبر من البطالين، يجدون فيها نوعا من اللذة والراحة يسدان بهما وقت الفراغ.فمن منطلق التحليل الوظيفي فإن البناء الاجتماعي هو الذي يحدد السلوك السوي وغير السوي عن طريق العلاقة التي تربط الغاية الثقافية بالوسيلة المشروعة لبلوغها، وعليه فإن الحالات الأنومية في المجتمع تظهر نتيجة الخلل الكامن بين الغاية والوسيلة معنى ذلك أن البطال الذي لم يصل بعد إلى الغاية المتمثلة في النجاح الاجتماعي والمادي كقيمة محببة في المجتمع بوسيلة العمل يلجأ إلى وسيلة تعويضية غير شرعية – المخدرات – يحقق بها نجاحه المؤقت الشخصي خاصة عندما ينتقل من تناولها إلى التعود عليها ثم الإدمان عليها حيث تنسيه المادة التي يتعاطاها مشاكل ومتاعب وآلام حياته اليومية، وتحوله إلى فرد غير قادر على الإنتاج فما بالك بعدم قدرته على العمل أصلا،ذلك أن" الإدمان يتعلق بالفرد الذي سيطرت المخدرات على حياته وأصبح يعاني من مرض مزمن ومستفحل وقاتل، ولا يستطيع أن يقوم بعمل إلا بعد أن يتناول مقدارا من المخدرات المعتاد عليها، ونتيجة لهذا فإن عمله وإنتاجه يقل تدريجيا، وكلما وجد نفسه غير

قادر على الإنتاج المطلوب منه يزيد من كمية المخدر الذي يتناوله إلى أن يتدهور جسميا وعقليا وماليا" [3].

يحاول الشاب البطال في ظل التغيير المفاجئ في القيم والمعايير الاجتماعية أن يتكيف مع أسلوب الحياة الجديدة باقتباس ما يناسبه من مواد مخدرة كالهروين، الكوكايين، الأفيون، العقاقير المهلوسة، استنشاق الغراء، المنبهات ... إلخ حتى تعيده إلى حالة الاستقرار النسبي ولو في الخيال، أماعن الارتباط السببي الموجود بين البطالة وظاهرة تعاطي المخدرات يرى جون كلوسن (J Clausen) أن "البيئات التي توجد فيها أعلى معدلات لتعاطي المخدرات تسكنها أكثر المجموعات حرمانا وفقرا وأقلها نجاحا وهذه المناطق يوجد بها أعلى معدلات الجريمة والدعارة وأعلى معدلات لوفيات الأطفال والإصابة بالسل وأعلى نسبة من الأسر المتصدعة في المناطق ذات الكثافة السكانية العالية"[4] ،هكذا تظهر المخدرات على أنها مشكلة اجتماعية تزداد خطورتها عندما تعجز المؤسسات المكلفة بالمراقبة الاجتماعية من أسرة، شرطة، مدرسة،، مسجد وغيرها عن التخفيف من حدتها والتصدي لها.

3- علاقة البطالة بظاهرة الهجرة خارج الوطن:

تتمثل ظاهرة الهجرة خارج الوطن في ذلك الحراك الجغرافي للأفراد خارج الحدود المعترف بها لبلدانهم الأصلية والتوجه نحو بلدان أخرى قصد الاستقرار فيها بصفة مؤقتة أو دائمة على هذا الأساس يمكن لنا أن نميز بين نموذجين للهجرة: أحدهما شرعي والآخر غير شرعي فبالنسبة للنموذج الأول: يتعلق الأمر بالانتقال القانوني للأفراد تبعا لحيازتهم تأشيرة الدخول إلى البلد المستقبل إما بتشجيع منه كما هو الشأن بالنسبة لبعض الدول الغربية :كالولايات المتحدة الأمريكية وكندا اللتين تعملان على اجتذاب المهاجرين إليها عن طريق

أنظمة الحصص التي توزع سنويا أو عن طريق الطلب كما هو الشأن بالنسبة لبلدان أخرى مثل: فرنسا وإسبانيا، إيطاليا، هذه البلدان الأوروبية أصبحت محل جذب لقطاع عريض من الشباب ومنهم العاطلين عن العمل، من هنا ندخل إلى نموذج الهجرة غير الشرعية الذي أصبح واسع الانتشار في الآونة الأخيرة، نظرا للقيود المتشددة التي تفرض على هذا النموذج من قبل البلدان المستقبلة كما أن المهاجرين الذين يدخلون إليها من الضفة الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط (حالة الجزائر) بطريقة سرية نجدهم يعيشون فيها بطرق غير قانونية بعيدًا عن السلطات الرسمية في تلك المجتمعات و ذلك بمساعدة شبكات تهريب تقوم بنقلهم برًا أو عن طريق البحر بمقابل مادي في العديد من الأحيان.

إن تصاعد معدلات الهجرة غير الشرعية في البلدان الأوروبية المذكورة أصبح قضية اجتماعية وسياسية هامة مما استدعى إعادة النظر في القوانين التي تتحكم في انتقال الأفراد وكذا في معنى المواطنة والهوية، لاشك أن هناك قوى مؤثرة تتمثل في عوامل الدفع المتعلقة بالبلد الأصلي وعوامل الجذب المتعلقة بالبلد المستقبل تتضافر فيما بينها كي تفسر لنا ظاهرة الهجرة غير الشرعية خاصة بالنسبة للشباب ومهما تعددت فإن للبطالة نصيبًا معتبرا فيها، فمن أبرز عوامل الدفع المتعلقة بالمجتمع الأصلي هي التي لها علاقة بالانعكاسات المختلفة لظاهرة البطالة من قلة الدخل المادي إن لم نقل انعدامه في بعض الأحيان، يحدث هذا في ظل ندرة مناصب العمل وغياب الخطط والبرامج الفعالة في استحداث الوظائف، كما أن مؤسسات العمل أصبحت طاردة للشباب البطال أكثر من جذبها له نظرا لسيادة المحسوبية والعلاقات الشخصية مما يعني الإحساس باللاعدالة في توزيع مناصب العمل، تراكم الديون والصراع مع الوالدين، الإخوة والأخوات الذين يعملون بالإضافة إلى استحالة أو صعوبة

الزواج والتمادي في سلوكاتانحرافية مختلفة، على هذا الأساس فإن الآثار المزرية التي تتركها ظاهرة البطالة تؤدي بالشاب إلى البحث عن بيئة اجتماعيه أخرى قد يجد فيها نوعا من التنفيس وربما يطمح من خلالها إلى رد الاعتبار ومن ثم المرور إلى مكانة اجتماعية ومادية أفضل، هكذا ننتقل إلى عوامل الجذب الخاصة بالمجتمع المستقبل من فرص عمل واسعة ،أجواء علمية ملائمة مقبولة ،أجور وظروف عمل لائقة واستقرار نفسي مرهون بقضاء فترة زمنية طويلة بدون المساس بالأمن العام والحريات العامة. حتى أن هناك إغراءات تتمثل في إمكانية الحصول على الجنسية في حال الزواج بالأجنبيات ورقي مستويات المعيشة بمفهومها الواسع، إذ "تؤكد المصادر الفرنسية أن الشباب المهاجر المتجنس استطاع أن يتغلب على البطالة إذ يحصل على الشغل بطريقة أسهل وله الأولوية على غيره من الشباب المحتفظ بجنسيته الأصلية"[5] ، وعموماً فإن تورط الشباب الجزائري في الهجرة السرية لا يمكن تفسيره إلا بواسطة تضافر مختلف العوامل التي يمكن أن نلخصها في: " الإستعدادات السيكولوجية التي تستند على التاريخ الفردي والعائلي والتي تظهر نتيجة اللاأمل الذي نشعر به على المستوى المحلي ، جذب المجتمع المستقبِل (النموذج الغربي)، التأثيرات المختلفة و الصعوبات التي تعرقل سيرورة الهجرة بدرجات متباينة، غياب الآفاق في المجتمع الأم." [6]

يبدو ان الصورة النمطية التي يحملها الشاب البطال الذي يحلم بالهجرة نحو أوربا ترتكز على المغامرات الناجحة للذين سبقوه إلى هناك بالرغم من المخاطر المختلفة المنجرة عن عملية التنقل والتي أدت بعدد معتبر منهم إلى الموت ومن جهة أخرى فإن الواقع الاجتماعي في البلد المستقبل لا يبعث دوما على الاطمئنان, حيث نلاحظ في هذه الأيام إعادة تهجير المهاجرين نحو بلدانهم الأصلية خاصة بالنسبة للمتواجدين بطريقة غير قانونية

وتكون هذه العملية مرفوقة بالمضايقات الأمنية من حين إلى آخر،زيادة على هذا فإن المهاجرين غير الشرعيين عندما يصلون سالمين إلى البلد المستقبل فإنهم يبحثون عن تأمين لقمة العيش عن طريق الاتصال بالأشخاص الذين يعرفونهم أو من طرف شبكات تعمل بطريقة منظمة على توفير العمل في المزارع والمصانع مقابل مبالغ مالية متدنية، هذا يعني أن أرباب العمل يفضلونهم في عملية الاستخدام نظرا لأنهم يمثلون عمالة رخيصة، عندما يتعرض سوق العمل لتقلبات فجائية نتيجة أزمات متعددة تتعلق بالاقتصاد الوطني للبلد المستقبل فإنهم يتعرضون مرة أخرى للبطالة ويكونون عرضة للتمييز في سوق العمل.

4- علاقة البطالة بظاهرة البغاء:

نقصد بظاهرة البغاء كل أشكال الممارسات الجنسية غير المشروعة المرتبطة بالمرأة نظير الحصول على مبلغ مالي معين، إذا كانت النظرة إلى هذه الظاهرة تختلف من مجتمع إلى آخر ومن حقبة زمنية إلى أخرى نظرا لتباين المعطى الثقافي، فإن التعريفات بخصوصها تعددت حيث يرى البعض أن" البغاء عملية جنسية بين رجل وامرأة لتلبية حاجة الرجل الجنسية وتلبية حاجة المرأة الاقتصادية أو أنه: استخدام الجنس إرضاءً لشهوات الغير نظير أجر وبدون تمييز" [7] ،كما نشير هنا إلى أنه لابد أن تتوفر ثلاثة شروط حتى تلصق صفة الباغية بامرأة ما حسب الباحثة سلام خياط تتمثل فيمايلي:

- أن تتخذ المرأة من جسدها سلعة للبيع.
- أن يكون الاتصال الجنسي مقابل مبلغ من المال.
- أن تجعل المرأة من هذا العمل حرفة للكسب.

معنى هذا أن أشكالا لأخرى من الممارسات الجنسية غير المشروعة لا تدخل في هذا المصطلح كالمرأة التي تلجأ إلى الغير لغرض المتعة الخالصة عندما يغيب عنها الزوج ولا تتخذها كحرفة للكسب، أو التي تقوم بالانتقام من زوجها فتلجأ إلى أحضان رجل آخر ،لكن ما هو الدافع الذي يجعل المرأة تقوم ببيع جسدها لقاء أجر معين؟

إن الإجابة على هذا السؤال تقودنا للإشارة إلى الدراسة التي قامت بها الباحثة سارة كرمونا بنيتو في المملكة المغربية حول ظاهرة البغاء ، حيث "تؤكدن المبحوثات أنهن يتعهرن بسبب الفقر (احتياجات اقتصادية) لأن ليس لهن اختيار آخر، نساء محدودات في مستواهن الدراسي لا تكوين لهن ولا مهنة ولهن القليل من الموارد الإقتصادية وبالتالي بمقدورهن فقط الإختيار بين العمل كخادمات في المنازل وبين البغاء وكلاهما مهين لكرامتهن" [8]. مما يشجع أكثر على هذه الظاهرة هو ذلك الفرق في الأجر بين الخدمة المنزلية الهزيلة في حين يمكن أن تكون مرتفعة في ظاهرة البغاء، ندخل من هنا أيضاً إلى الارتباط الكامن بين البطالة والبغاء حيث يظهر من خلال هذه الظاهرة أنها ارتبطت دوما بالعامل المادي، معنى ذلك أن الحرمان المادي كنتيجة حتمية للتعطل عن العمل يصبح دافعا قويا من أجل سد الرمق إما باندفاع المرأة ذاتها أو عن طريق جرها من طرف آخرين كما هو الشأن بالنسبة لشبكات المتاجرة بأجساد النساء ومما يساعد على تفشي هذه الظاهرة هي الأوضاع المعيشية المزرية خاصة المرتبطة بالفئات الدنيا من المجتمع أي أنها نتيجة الصراع الطبقي بالمفهوم الماركسي، فاستغلال الإنسان لأخيه الإنسان هو أساس جميع المشاكل الموجودة في العالم الرأسمالي.معنى هذا أن ظاهرة البغاء هي إحدى مساوئ النظام الرأسمالي لأنها ارتبطت بالظروف الاقتصادية القاهرة للطبقة البروليتارية في المجتمع وهي محصلة الخروقات والانتهاكات التي كرسها هذا النظام،

فالعاهرة تمثل استعباد الرجل للمرأة واستغلالها من طرف الآخرين يعني أن جسدها أصبح ملكا لهم كما يملك الرأسمالي قوة عمل الأجير البسيط وعليه فإن مجابهة هذه الظاهرة مرهون بتفعيل آليات الانتقال إلى نظام اقتصادي جديد تتقلص فيه البطالة إلى حد كبير مع ضمان الشغل للباحثين عليه، وعليه تزول ظاهرة البغاء هكذا ذهب كارل ماركس مؤكدا أن "البغاء سيبقى قائما في المجتمع ومتحكما في أخلاقية الفرد، ما بقيت الرأسمالية قائمة على هذا الكوكب، ولن ينتهي هذا الانتهاك أو يزول، إلى أن يتحقق النظام الشيوعي"[9] ، لكن بالرغم من الصحة النسبية لهذا الطرح الإيديولوجي، إلا أن ظاهرة البغاء تواجدت ولازالت حتى في البلدان الشيوعية والاشتراكية الأمس و اليوم.

5- علاقة البطالة بظاهرة تأخر سن الزواج:

قد تتدخل العائلة الجزائرية المنغرسة في قيمها التقليدية في توزيع أدوار كل من الذكورة والأنوثة والتسيير المباشر أو غير المباشر للممارسات الجنسية المشروعة المرتبطة بالشرف والمعبر عنها بالزواج، هذا الأخير يبقى حلم العديد من الشباب من كلا الجنسين في ظل قسوة الظروف المعيشية وتعقد الحياة الاجتماعية تتجذر ظاهرة تأخر سن الزواج سواء تعلق الأمر بالعنوسة بالنسبة للإناث أو طول فترة العزوبية بالنسبة للذكور فإذا كان الزواج يطغى عليه الواجب الديني والاجتماعي فإن الانتقال إلى هذه الرابطة الاجتماعية، مرهون بالوقت الضروري الذي نجده في غاية الأهمية لدى الشريكين كي يتحدا وفقا للعوامل التي يتضمن لها نوعا من الاستقلالية المنشودة كإمكانية الحصول على سكن منفرد وادخار قاعدة مالية هامة ومناسبة، إن التأخر في سن الزواج مرتبط أيضا بتمديد فترة التمدرس وأزمة الشغل والسكن خاصة في الوسط الحضري بالإضافة إلى نوعية الشروط المتعلقة بالمهر والتي تختلف من منطقة

إلى أخرى، الذي يهمنا أكثر هي أزمة الشغل معنى ذلك أن البطالة تساهم في نفور الشاب من الإقدام على تكوين أسرة أو حتى التفكير في الزواج ليتحول هذا الأخير إلى حلم بعيد المنال، مادام لم يتحصل بعد على الشرط الأساسي الذي تفرضه العائلة الجزائرية في العادة وهو أن يكون الشاب المتقدم للخطبة مشتغلا لأن العمل هنا مرتبط بالرجولة والقدرة على تحمل المسؤولية فيما يخص النفقة المادية على الزوجة ثم على الأبناء فيما بعد وفي حالة التعطل عن العمل فغالبا ما يواجه الشاب في مشروعه هو الرفض الذي يعني فقدان المعنى الجوهري في هذه العلاقة المشروعة ونعني به إمكانية إعادة الإنتاج البيولوجي والاجتماعي لمؤسسة الأسرة من أطفال، أمن، مسؤولية وبيت والتي تضمن التوازن النفسي والاجتماعي أي التوازن الصحي للشاب وعليه يمكن القول بأنه في الوقت الحاضر توجد أزمة زواج في المجتمع الجزائري خاصة في الوسط الحضري، إما من حيث التأخر في الانتقال من حالة العزوبية إلى حالة الزواج، وإما الامتناع عن الزواج نهائيا. يحدث هذا بسب تعقد الحياة الاجتماعية خاصة في المدن الكبرى في هذا الصدد نشير إلى ما كتبته "مجلة "التضامن" في استطلاع قامت به حول "الزواج بالمراسلة" في حديثها عن البطالة وأزمة السكن وكذلك أزمة الزواج بأن هناك 70 ألف إطار جامعي بدون عمل وأزيد من 03 ملايين طلب سكن قيد الدراسة والطلبات في التزايد ونسبة العزوبية في ارتفاع مستمر حيث وصل ما يقارب عن مليون فتاة بدون زواج تجاوز معظمهن 30 عاما"[10] ،بالتالي فإن المشاكل السالفة الذكر تتضافر فيما بينها كي تؤثر على وضعية سوق الزواج ليصبح هذا الأخير يعرف بعض الاختلالات من حيث درجة الإقبال عليه فيجد الشاب الأعزب الذي تأخر سن الزواج لديه في مواجهة عمليات وصم اجتماعي متزايد من طرف الآخرين الذين يتفاعلون معه في إطار

الحياة الاجتماعية باعتبارها ظاهرة تهميشية مرفوضة من طرف مجتمعنا الذي يتميز بتناقض الحداثة و التقاليد.

6- علاقة البطالة بظواهر اجتماعية أخرى:

سنقتصر في هذا المبحث على بعض الظواهر الاجتماعية التي لفتت انتباهنا في مجتمعنا والتي تمس بقوة الفئة الشبابية خاصة البطالين منهم، فمن خلال وسائل الإعلام وتجاربنا المعيشية واحتكاكنا بهذه الفئة الاجتماعية يظهر لنا ذلك الارتباط الكامن بين البطالة وظواهر اجتماعية مثل الانتحار، الفقر والسرقة،يبدو التناول السوسيولوجي لظاهرة الانتحار قديما نسبيا ويمتد جذوره إلى عالم الاجتماع إيميل دوركايم الذي يعرفها كما يلي: "تسمى انتحارا كل حالة وفاة تنتج مباشرة أو مداورة، من عمل إيجابي أو سلبي، تقوم به الضحية بذاتها وقد كانت على علم بأنه لابد أن يحدث هذه النتيجة" [11].

لقد تم تفسير ظاهرة الانتحار آنذاك بناء على ضعف الاندماج الاجتماعي للأفراد في المجتمع ومن هنا ننطلق في الارتباط الكامن بينها وبين ظاهرة البطالة هذه الأخيرة يمكن أن تساهم في تفكيك البنية العائلية، كما أن قوة الرابطة الاجتماعية في هذه المؤسسة والتي تترجم بشبكات التضامن يمكن أن تشكل متراسا فعالا ضد الصعوبات والأزمات الاقتصادية المختلفة، أما إذا تراخت هذه الرابطة فإن الإقبال على الانتحار سيزداد، معنى ذلك أن البطالة لا تؤثر مباشرة على هذه الظاهرة أي "لا تمارس تأثيرها إلا عبر الوسط الابتدائي الذي يكون فيه الأفراد منخرطين فيه ولاسيما العائلة" [12] كما نسمي هذا النوع من الانتحار الذي يرجع إلى قوى عائدة إلى الماكروسوسيولوجيا ,كالتحولات الفجائية التي يمر بها المجتمع من أزمة اقتصادية وارتفاع معدلات البطالة بصورة كبيرة بالانتحار الأنومي على

هذا الأساس فإن اختلال القيم وفقدان المعايير التي تضبط سلوك الأفراد في المجتمع الجزائري بسبب قلة مناصب العمل وتفشي سلوكات غير عقلانية في التوظيف كالمحسوبية، الرشوة والجهوية من شأنه أن يخلق نوعا من الفراغ القاتل فتتراخى بذلك الرابطة الاجتماعية التي تربط الشاب العاطل عن العمل بمؤسسات التنشئة الاجتماعية فتضعف عملية اندماجه الاجتماعي ويقبل على وضع حد لحياته بوسائل مختلفة.

أما بالنسبة لظاهرة الفقر فإن المداخل النظرية تختلف في إعطاء تعاريف دقيقة لهذه الظاهرة حيث "يميل بعض الاستراتيجيين وصناع القرار إلى ربط الفقر بالتجريد من القوة من حيث النقص النسبي في المتاح للفقراء من الموارد اللازمة لتحصيل الرزق أو نفقات المعيشة وعدم وجود جدول أعمال سياسي واضح وصوت مسموع للفقراء إلى جانب شعورهم الداخلي بانعدام أهميتهم وخضوعهم السلبي للسلطة" [13] ،تبعا لهذا التعريف فإن ظاهرة الفقر تشترك مع ظاهرة البطالة فيما يخص مؤشرات الدخل المنخفض أي عزل وحرمان فئة اجتماعية من تحقيق التراكم المادي وعدم الاستفادة من النمو الاقتصادي، بالإضافة إلى التهميش والمعاناة من الاغتراب الاجتماعي وغياب المشاركة في الحياة الاجتماعية،هذا الارتباط الموجود بين الظاهرتين هو الذي يقودنا إلى الحديث عن بطالة الفقر "الناشئة بسبب النقص في التنمية كما نعلم أن الاستخدام له علاقة مباشرة بمعدل النمو، فإذا تراخى هذا الأخير تقلص الطلب على العمل وظهرت البطالة والغالب في هذه البطالة أن أفرادها لا يجدون في محيطهم فرصة للعمل الثابت والمستمر ويغلب وجود ها في الأقطار القليلة النمو التي يسودها الركود وضعف التنمية" [14] تجدر الإشارة بنا إلى أن وجه الاختلاف بين الظاهرتين يكمن في أن "الفقير هو الشخص الذي لا يعمل وهذا بصورة مزمنة أي تعطل

عن العمل باستمرار وغير قادر على الحصول على شغل فالفقر يندرج ضمن دائرة اللانشاط بينما البطال هو الشخص الذي عمل من قبل أو لم يعمل ويبحث عن شغل قادر عليه فالبطالة تندرج ضمن دائرة النشاط"[15] ،زيادة على هذا فإن الفقر غالبا ما يرتبط بظروف معيشية مزرية كانتشار الأمية، كثرة النسل والسكن في بيوت غير لائقة (قصديرية) على سبيل المثال،بالإضافة إلى هذا فإن ظاهرة السرقة غالبا ما ارتبطت بالفئة الشبابية خاصة العاطلة عن العمل منها، الأمر الذي يؤدي بعدد معتبر منهم إلى المخاطرة بحياتهم كشكل من أشكال التخريب الذاتي بحيث تُعتبر الموت بالنسبة لهم أهون من الحياة المرة التي يعيشونها يحدث هذا عندما تقترن هذه الظاهرة بسلسلة من الاعتداءات على أملاك الغير أي عندما تتحين الفرصة لذلك وتشمل في بعض الأحيان المؤسسة الأولى للتنشئة الاجتماعية (الأسرة) لتنتقل إلى الوسط المفتوح (الشارع) الذي يسمح لهم بقتل الوقت وبناء استراتيجيات معينة هادفة، أنهم يبنون عالمهم الاجتماعي بأنفسهم على هامش المجتمع وبصورة عنفية كطريقة مثلى يتم بفضلها التعبير عن تواجدهم الاجتماعي كشكل من أشكال الاعتراف الاجتماعي بعدما تم تغييبهم عن الاندماج المؤسساتي في الدولة، هذه الأخيرة تعتبر عدوا لهم يحملونها المسؤولية في الوضعية المزرية التي آلوا إليها ويحاولون الانتقام من الأشخاص الذين يختلفون عنهم في الوضعية الاجتماعية والمادية كرد فعل عن عدم تضامنهم معهم بعدما أغلقت الأبواب في وجوههم ومما يقوي هذه الظاهرة هي الأحياء السكنية المخربة التي يعرفون مسالكها الوعرة وخباياها أو التي يقطنونها مما يجعلهم يعملون بصورة منتظمة على ثمار السرقة.

يمكننا الإشارة إلى ظواهر اجتماعية أخرى ترتبط بظاهرة البطالة وتمس شرائح اجتماعية مختلفة كظاهرة التسول التي أصبحت منتشرة في العديد من الأماكن مثل أرصفة

الطرقات، حظائر السيارات وحتى المقابر، أو ظاهرة عمالة الأطفال القصر التي تمنعها منظومة النصوص التشريعية الوطنية والدولية إلا أن حتمية الواقع الاجتماعي المزري يكون دافعا لتفشي هذه الظاهرة بمختلف أشكالها .

قائمة المراجع:

1- سليمان مظهر: « العائلة وسط اجتماعي ملغم بالعنف في الجزائر »، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تلمسان عدد خاص، 2003، ص 71.

2- لياس بوكراع: الجزائر الرعب المقدس، ت (خليل أحمد خليل)، دار الفارابي، لبنان، ط1، 2003، ص 157.

3- حسين عبد الحميد أحمد رشوان: الجريمة – دراسة في علم الاجتماع الجنائي، ص (60)، نقلا عن جمال معتوق: المرجع السابق، ص ص326، 327.

4- ناصر ثابت: المخدرات وظاهرة استنشاق الغازات، دار ذات السلاسل، الكويت، 1984، ص 20.

5- سعدي بزيان: الشباب الجزائري في المهجر والبحث عن الهوية الثقافية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص49.

6- Medhar (S) : « l'implication de jeune Algérien dans l'immigration clandestine », in revue pensée et sociétés, n°01, Taksidj.com, Alger,2008,p47.

7- سلام خياط: البغاء عبر العصور (أقدم مهنة في التاريخ) ، رياض الريس للكتب والنشر، لندن، ط1، 1992، ص 18.

8- سارة كرمونا: البغاء في شوارع الدر البيضاء، تر(عبد الصمد الديالمي)، دار توبقال للنشر، المغرب، ط1، 2008م، ص60

9- المرجع نفسه،ص 28.

10- الزواج بالمراسلة، مجلة التضامن، مجلة مستقلة تصدر عن دار التضامن للنشر والإعلام، قسنطينة، عدد 10، ديسمبر 1992، ص (13) نقلا عن مليكة لبديري: الزواج والشباب الجزائري، دار المعرفة، الجزائر، 2005، ص 61.

11- كريستيان بودلو وروجيه إستابليه: دوركايم والانتحار، تر (أسامة الحاج)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1999، ص 66.

12- المرجع نفسه، ص 140.

13- إسماعيل قيرة: التصورات الاجتماعية ومعاناة الفئات الدنيا، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر، د.تا، ص 195.

14- البشير عبد الكريم: « تصنيفات البطالة ومحاولة قياس الهيكلة خلال عقد التسعينات » مجلة اقتصاديات شمال إفريقيا، عدد 00، 2004، ص 168.

15- Demaziére(D): Le Chômage de longue durée, Ed PUF., 1er édition, Paris, 1995 P 98